الشورى

بين

الأصالة والمعاصرة

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

تأليف

عزّ الدّين التّميميّ

دار البشير

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار البشير
للنشر والتوزيع
هاتف: ٦٦٤٤٢١ - ٦٧٠٢٣٠ - ص.ب: ٦٢٤١ - العبدلي - بناية الدجو - مقابل البنك العربي - عمّان - الأردن

المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه وبعد: فهذا بحث في الشورى بعنوان: «الشورى بين الأصالة والمعاصرة» حاولت أن اجلي فيه للقارىء الكريم الصورة الحقيقية لفكرة الشورى التي كانت اتجاها رائعاً في المجتمع الاسلامي الأول، والتي كان لها دورها الفعال في النجاحات التي أحرزها المسلمون في عصورهم الأولى. اذ لم تعد ارادة الفرد لتطغى على ارادة الجماعة، ولا مصلحته على مصالحها. ولم تعد الأمزجه الشخصيه لتتحكم بمصيرها بل كانت العقلية الجماعية هي التي تناقش الامور بحرية ووعي بدافع من الاخلاص والنوايا الحسنة. واصبحت الأمة ذات مشاركة حقيقية في اتخاذ القرارات، وبخاصة القرارات التاريخية. ذات الصبغة العامة، وقد حلت الارادة الجماعية مكان الارادة الفردية في صنع القرارات.

ولقد تركت الآراء التي ابديت في اللقاءات الشورية زخما من الفكر السياسي والاجتماعي والعسكري والاخلاقي مما جعلها مشاعل على الطريق للأجيال بعدهم واصبحت هذه الآراء قاموساً من الحكمة السياسية والحربية والاجتماعية استرشد بها الحكام والرؤساء والقاده والولاة في تدبير شؤون الأمة ـ واتخذوها جسراً قوياً عبروا عليه إلى حياة جديدة مليئة بالعطاء.

ومما يؤسف له أن (المنهج الشوري) قد غاض من حياة المسلمين وتلاشى منها شيئاً فشيئاً مع توالي العصور حتى صار شبه تاريخ يتحدث عنه القصاص ويفتخر به الأدباء والكتاب.

ومن الواجب على المرء عندما يرى القيم الاسلامية - وهي قيم الأصالة - تغيض من حياة أُمته أن يساهم في إحيائها، ليتيح للأمة أن تفيد منها، ويأخذ علينا الآخرون أَننا أمةٌ تنوء بخيالات الماضي ولا تعمل على استعادة عظمته ولكن هناك نفراً من أبناء الأمة ينفر من الماضي ويتبرم من الحديث عنه كما ينفر من الاعتزاز به، ويرى في ذلكَ مظهراً من مظاهر التخلف والرجوع الى الوراء وفي اعتقادي أن هذا تصوُّر خاطىء ليس في مصلحة الأمة وليس له ما يبرره على الإطلاق، لأن أُمتنا عندما تتنكر لماضيها تكون كمن يحفر قبره بيده أو كمن يقطع وريده بشفرة حادة. لأن الحاضر لن يستغني عن الماضي، كما أن الركون إلى الماضي لا يغني عن العمل للحاضر بل لا بد من الوصل بينهما حين السير في طريق النهضة والرقي.

وأرجو أن يساهم هذا البحث ولو في دائرة ضيِّقة في إطلاع القراء على الآراء والأفكار والأساليب التي مارسها ذلك النفر العبقري من صحابة النبي في أثناء مشاورتهم وتشاورهم في الأمور. وأن يساهم أيضا في إطلاع القراء على الأبعاد الدستورية للنص القرآني: وشاورهم في الأمر. وأمرهم شورى بينهم. من خلال الممارسات الشورية التي تمت على يد النبي عليه السلام وصحابته.

وأرجو من القارىء الكريم المعذرة عن كل تقصير يظهر له بين سطور هذا البحث إذ ليس غريبا أن يقصر المرء أو يسهو أو يخطىء لأنه مكتنف بالعجز والقصور.

المؤلف

الفصل الأول

نظام الإسلام

من القضايا اليقينية في نظري أنه مهما أوتيت العبقرية الانسانية من ذكاء ووعي فإنها لن تتفق عن نظام يرقى الى نظام الاسلام في قدرته على حلّ مشكلات الإنسان وتنظيم شؤونه وعلاقاته، ولا في كفاءته في تلبية حاجاته الحياتية.

ويرجع ذلك الى أن النظام الاسلامي يتميز بأنه النظام الإلهي الرباني مما يجعله ذا خصائص ومزايا لم ولن تجتمع في غيره من النظم، اذ هو من الله العليم بكل شيء العليم بالسرِّ في السموات والأرض، العليم بكل الظروف والأحوال، المحيط بكل الأمور والأشياء.

وقد استوفى هذا النظام جميع عناصره في عهد النبي، والنصوص القرآنية اعلنت هذه الحقيقية بصراحة وقوة ومن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿اليومَ اكْملْتُ لكُمْ دينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعمتي وَرَضيتُ لَكُم الإسلامَ دينا﴾[1] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه من اكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره، ولا الى نبي غير نبيهم... إلى أن قال: فلا حلال الا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين الا ماشرعه[2].

(١) الآية ٣: المائدة.

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.

٢ـ٣ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلنا عَلَيْكَ الكتابَ تِبياناً لكُلِّ شيء وهدى ورحمة وبُشرى للمسلمين.﴾[1] وقال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[2] يعني في شؤون التشريع، يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه «نحو مجتمع اسلامي» فالله وحده هو المشرع ابتداء وعمل البشر هو تطبيق التشريع الالهي وتنفيذه، وهم حتى فيما يجمعون عليه بما لم يرد فيه نص يظلون مطبقين للمبادىء الاسلامية لا مبدعين ولا مضيفين مبدأ جديداً لا أصل له في الشريعة، ولا يملكون أن يخالفوا اصلاً من أُصولها.

٤ـ وقال تعالى: ﴿وَأَن احكُمْ بَيْنَهُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ ولاَ تَتَّبِعْ أهواءَهم﴾[3] فأي تشريع لا يستمد مبادئه من وحي الله إنما هو من أهواء البشر متأثر بأمزجتهم موجه بمصالح فردية أو طبقية، وهو وليد عقول محدودة التصور متناقضة عاجزة عن الإحاطة بمشكلات الإنسان ودوافعه ومتطلباته وحاجاته فلن يرقى نظام بشري وضعي إلى منازعة نظام الاسلام أو مطاولته أو معارضته، لأنه فوق الاهواء، وفوق الاثرة، وفوق المنافع الشخصية والمنافع الطبقية وفوق النزوات الحزبية والطائفية والعنصرية، وفوق الترهات والأباطيل.

أمة بين المجد والتخلف

إن امتنا ماضيها عريق، وحاضرها مشوش، ومستقبلها مبهم، وموقعها الاستراتيجي ذو أهمية كبرى عند جميع الأمم. مما جعل المنطقة التي تسكنها

(١) الآية ٨٩: النحل.
(٢) الآية ٣٨: الأنعام.
(٣) الآية ٥٢: المائدة.

ـ وهي منطقة الشرق الأوسط ـ محط أنظار الاستعماريين وحلبة تنافس شديد وصراع عنيف بين الدول.

وإن الاتجاهات السياسية التي تسود حياتها، وانتشار الأمية في ربوعها، وضعف بنيتها، وارتباك اقتصادها وانتشار الفقر في أرجائها، وكثرة الاضطرابات في أقطارها وتنازع دولها، وكبت الحريات فيها، وانتشار المحسوبية والرشوة والبيروقراطية وقلة الكفاءة وتناحر الأحزاب فيها، أضف الى ذلك كله انها تتوق الى مجد الماضي وتنوء بالحديث عنه ولكنها لا تعمل بصورة حقيقية على استعادة عظمته.

كل ذلك يحتم أن يشق العقل طريقه بحرية وقوة ليساهم في نهضتها وتحريرها والأخذ بيدها وترقيتها والدفاع عن قضاياها.

إنَّ تخلف هذه الأمة في جميع الميادين ليس قدراً سرمدياً أبدياً وإنما هو أمر عارض نتيجة ظروف خاصة ولا بد من وقف حالة التخلف هذه وإنهائها بالوعي والتحرر والاستنارة.

إن نظام الإسلام قادر على تقبل المعارضة، ويستطيع أن يستوعب كل القادرين على النقد وإبداء الرأي مهما كانت درجة النقد من الحرارة والمرارة والصراحة.

وقد واكب ظهور نظام الاسلام ظهور رجال عباقرة أقوياء اتقياء، همسُهم أقوى من زئير الآخرين، وهدوؤهم أشد تأثيراً من ضجيج الكثيرين، استطاعوا أن يفتحوا العالم ببضع آلافٍ من المقاتلين، وأن يسوسوه بالحكمة والعدل بصورة مذهلة.

وكانت قدرتهم على التحرك العقلي الخاطف أمام التحديات عنصراً

فعـالاً في تـذليل كل العقبـات، وإذابـة كل المعـضـلات وتسـوية كل المشكلات، وسحق كل القوى المناوئة.

وقـد كان التفاعل بينهم وبين النظام عنصراً رئيسيا في النجاح، ذلك النظام الذي لم يحجر على العقول، بل دفعها الى التحرك - وحررها من قيود الجهل والطيش والعبودية لغير الله وقيود الجاهليه الأخرى.

إنَّ هؤلاء الرجال شكلوا جيلاً فتح العالم، ونشر مبادىء الحق والعدل، وأرسى دعائم حضارة تلألأت في سماء الكون قرونا، ولديه من أصالة الفكر، وصراحة الرأي، وعمق التجربة، ونور البصيرة ما يحتم علينا أن نستفيد منهم الشيء الكثير، مما يساعد على سدّ الفراغ الفكري والوجداني الذي نعانيه.

السيـــادة للشـــرع

لم يكن الاسلام مجرد دين يعمل في مجال العقيدة الدينية وحدها، بل هو دين قـرر عقيدة وقرر نظاماً لحياة البشر إلى يوم القيامة. ومن هنا كان الاسلام عقيدة ونظام حياة تكامل بالقرآن والسنة،

ومن الأمـور المعلومة لدى العلماء والباحثين أن الدولة الاسلامية دولة شرعية وأن المجتمع الاسلامي مجتمع سيادة الشرع بمعنى أن سلطة الحكم في الدولة تحترم جميع النصوص الشرعية التي تسود المجتمع، فسلطة الحكم حين تصدر أي قرار من قراراتها لا تخالف نصاً شرعيا أو تشريعياً على مقتضى الشرع ومصلحة الأمه ولا تهدر قاعدة شرعية تجب طاعتها قال تعالى: ﴿وَمَا كانَ لمؤمنٍ ولا مُؤْمنـةٍ إذا قَضَى اللَّهُ ورسُـولُـه أمراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخِيرَةُ من أمرهم﴾[1]وقال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمـر منكم

(١) الآية ٣٦/الاحزاب.

فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ذلك خير واحسن تأويلا﴾.[1]

فالنصوص الشرعية في الكتاب والسنة واجبة الالتزام من وجهة النظر الاسلامية، لذلك فان الإسلام لا يبيح للحاكم أن يعطي الشرع اجازة أو عطلة رسمية ليتصرف كما يبدو له، كما لا يبيح للأمة أن تلغي قاعدة تشريعية تقررت في الكتاب والسنة بحجة أن الشعب مصدر السلطات.[2]

ومبدأ سيادة الشرع يمثل الضمانة الكبرى القوية للحقوق العامة وسلامة المجتمع، وإزاء ذلك فان الفرد يستطيع أن يحتمي بالشرع من اعتداء السلطة على حقوقة.

وفي اللحـظة التي تُعْفي السلطة نفسهـا من احترام القواعد الشرعية المقررة والالتزام بها تكون قد قضت على كل قيمة اجتماعية. وفتحت الأبواب على مصـاريعها للفوضى وعرضت المجتمع والحياة العامة لاهتزازات ذات مضاعفات خطيرة على حياة الأمة، التي تجد نفسها في حالة استلاب، وقد ابتعدت عن ينابيعها التي منحتها الحياة، ووهبت لها القوة والمنعة.

إبـــداء الـــرأي

فسر ابن القيم الرأي بانه ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب

وإبـداء الـرأي هو من قبيل النصيحة، وهي مشروعة. وتبدى الآراء للحكام وأفراد الأمـة، قال النبّيُ عليه السلام: «الدِّينُ النَّصِيحةُ. (ثلاثا) قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم»[3]. وعن

(١) الآية ٥٨/النساء.

(٢) انظر: د. ابو زيد مصطفى فهمي: فن الحكم في الاسلام فصل الشورى.

(٣) رواه مسلم عن تميم الداري. وهو في مسند احمد بن حنبل ١ -:٣٥١: ٢٩٧ و٤ =